الواجب ...

للأستاذ عباس أبو شوشه

لعل أسمى مراتب الإنسانية أن يشعر المرء شعورا صادقا ، بأنه إن كانت له حقوق لا يغفل عن طلابها ، فإن عليه واجبات يجب ألا يتوانى فى أدائها ، وأن هذه الواجبات ليست منحة يسديها ، أو منة يوليها ، ولكنها ديون يقضيها ، وأن يكون هذا الشعور عقيدة راسخة فى نفسه ، توقظ ضميره ، وتذكى همته ، وتحفز نشاطه إلى أداء الواجب كاملا غير منقوص ما وسعته طاقته ، وما استطاع إلى ذلك سبيلا ، وأن يكون أداؤه عن طيب خاطر ، وتمام أريحية ، إرضاء لضميره و إراحة لباله .

وما أكثر الواجبات وأثقل أماناتها ، وما أجمل أن يتخفف الإنسان منها .

فعليه واجب أول نحو نفسه ، أن يشعرها بالمنزلة التى رفع الله الإنسان اليها بين خلقه حيث قال " ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا " ويحملها على تحقيق هذا التفضيل ، ويروضها على الارتقاء إلى سماء الإنسانية ، وينزهها عن الهبوط إلى درك البهيمية ، ويتهج بها الجادة ولا يسومها خطة يجد فى مثلها المأخذ على غيره ، ولا يختانها فيغشيها ثوبا من الرياء يستخفى وراءه من الناس ، ولا يستخفى من الله وهو معه أينما كان ويعلم ما توسوس به نفسه ، ويعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، ويحاسبها على الدقيق قبل الجليل فيحميها أن تفرط أو أن تطغى ، فإذا بلغ بها الدرجة المرجوة من الكمال الإنسانى ، مرنت على القيام بالواجب فى غير تكلف ولا مشقة .

وعليه واجب نحو ربه ، فهو الذى خلقه فسواه فعدله فى أكرم صورة وأحسن تقويم ، وأولاه نعمة الحياة واختصه بفضيلة العقل وسخر له من جنود السموات والأرض ما يسر له هذه الحياة ويسعدها ، ورزقه من الطيبات ومن كل شىء ما كان له أن يقدر عليه لولا فضل الله ورحمته ، فمن حقه عليه أن يقابل هذه النعم بالعرفان ويشكرها بالتفانى فى إطاعة أوامره ، واجتناب نواهيه ، ويقر له بالعبودية والخضوع ، لا يرى فى ذلك غضاضة ولا يحس فيه إنكارا .

وعليه واجب نحو وطنه الذى أقلته أرضه ، وأظلته سماؤه ، وتمرغ فى نعمائه فتكون لحمه وعظمه من ثراه ، وجرى الدم فى عروقه من مائه ، وترددت فى رئتيه أنفاس الحياة من هوائه ، وكان كل ما يملك من مال ومتاع فيض آلائه ، فمن حقه عليه أن يؤثره على كل عزيز حتى على نفسه ، وأن يفديه بتلك الحياة التى استمدها من فضله ، وألا يبخل بشىء و إن

عن فى سبيل إعلاء شأنه و إسعاد أهله ، والذياد عن حوضه ، والحفاظ على عزته ، وإذا خالجت نفسه خلجة من الميل إلى تملق خصم أو تأييد غاصب تلمسا لجاه ، أو تطلعا إلى مال فليردها إلى الصواب وليردد :

ولى وطن آليت ألا أبيعه وألا أرى غيرى له الدهر مالكا

ولا يغيب عن باله أن من يمكن للغاصب فى أرضه و ينعم فى ظل هذا الغاصب حينا سوف يجرع الذل ألوانا و يعيش كالسائمة فى جميع الأحايين .

وعليه واجب نحو والديه اللذين ربياه صغيرا بعد أن حملته أمه جنينا و بذلا له كل ما يملكان بذله من راحة ورعاية وعطف وحنان ومال حتى صيراه إنسانا قادرا على أن يستقل بأعباء نفسه ، ومن حقهما عليه أن يكرمهما و يبذل لهما عن سابق العطف عطفا ، وسالف البر برا ، وقديم المال مالا ، وألا يتنكر لهما أو ينكرهما إذا أثرى وهما فقيران ، أو علا وهما متواضعان ، ذلك أدنى ألا يغضبهما فيغضب الله لهما ، والله قادر على أن يديل من دولته و ينزله من صياصيه و يرده أسفل سافلين .

وعليه واجب نحو ولده ، فهم الذين سيحفظون أثره ، و يشدون أزره ، ومن حقهم عليه أن يحسن القيام على تربيتهم ، و يعمل على تنشئتهم على الفضائل وتلقينهم مكارم الأخلاق ، و يغرس فيهم العزة والكرامة والإباء والطهر ، ولا يستشعر الشح فى الإنفاق عليهم ، فتمتد أعينهم إلى ما فى أيدى الناس ، و يزرى بهم التقتير عن التعفف ، و يهون عليهم ماء وجوههم والحرص على أماناتهم .

وعليه واجب نحو قومه وعشيرته ، فهم أنصاره فى البلاء ، وشيعته فى الرخاء ، وهم خدمه شعر أولم يشعر ، تصل إليه كل مرافق الحياة عن أيديهم ، وبفضل جهودهم ، فمن حقهم عليه العمل على إرضائهم ، والترفيه عن نفوسهم ، وتخفيف ويلاتهم و إصلاح فساد أمورهم بما أوتى من فضل ومن سعة ، ومن حقهم عليه إذا ولى طائفة منهم أن يرحم صغيرهم ، و يوقر كبيرهم ، و يواسى ضعيفهم ، وفقيرهم ، ولا يكون جبارا فيهم يستذلهم أو يؤذيهم ، ولا يفرق فى المعاملة بينهم فيتباغضوا و يتحاسدوا وتوغر صدورهم عليه فتكون عاقبة أمره خسرا .

وعليه واجب نحو عمله الذى يتقاضى أجره ، و ينال مثوبته ، فعليه إذا كلف أمرا أن يخلص فيه و يفرغ له ، فلا يتشاغل عنه ، ولا يهمل ولا يسوف ، وعليه أن يتقنه فان الله يحب المتقن عمله ، وعليه أن يطيع ولى أمره فى غير ما يغضب ربه أو يجر ظالما على غيره ، وأن يرعى وجه الله فيما يعمل فلا يميل به الهوى إلى إمضاء شؤون بعض الناس ، وتعطيل شؤون بعضهم لحاجة فى نفسه ، فانه محاسب على ذلك حسابا دقيقا ، فان يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، وإن يعمل مثقال ذرة شرا يره .

وعليه واجب أقدس نحو الأسرة الكبرى ، نحو الإنسانية ، فقد كان إنسانا قبل أن يكون له بلد ، وكان إنسانا قبل أن يكون له ولد ، وكان إنسانا قبل أن يكون له أشياع أو حواريون ، فمن حق الإنسانية عليه أن يكون عضوا نافعا فيها ، وأن يعمل على أن يعيش الناس أحرارا متحابين ، وأن يكون تبادل المنافع بينهم على أساس الإخاء والمواساة لا على أساس العلو والاستعباد .

تلك شرعة الحق ، وتلك آيات الله للخلق ، فان يكفر بها قوم فهو قادر على أن يذهب بهم ويوكل بها قوما ليسوا بها بكافرين .

عباس أبو شوشة

* * *

" الارتجال آفة مصر ... الارتجال جائز فى خطب المآدب والتكريم والتوديع ، أما فى وضع خطة أمة تنهض من سبات طويل ، فهو جريمة ، وأية جريمة !!

الارتجال فى القوانين هو أقوى معول لهدمها ... فى البلد قانون للتسول ، وقانون للتشردين ، ولكن عدد المتشردين والمتسولين يزداد ويغو فى ظل القانون .

ذلك لأن هذه القوانين كانت نتيجة الارتجال ، إذ كان يجب أن يسبق هذا أن تدبر قانونا يعصم الناس من التسول ، ويؤمنهم ضد الفقر والمرض والعجز والشيخوخة ... "

(عبد الحميد عبد الحق)